الاتحاد العربي للمدارس الخاصة
Arab Private Schools Federation

خماسيّة التحدّيات المعاصرة

رحلة في متاهات الأميّة الجديدة وآفاق النهضة التربويّة

بمناسبة اليوم العالمي لمحو الأميّة - 8 سبتمبر

زاحم ساحات الجهل والباطل، يرجى نشر ما تقرأ من علم وحق، ولا تصمت صوتك في الحق

360 KNO SMART SCHOOLING
ADVANCE THROUGH TECHNOLOGY

unicef

UNESCO
United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization

GenEx
Generational Education Exchange

تمكين TAMKEEN

UNIVERSITY OF VICTORIA LONDON - UK

AMIEE
American International Education Federation

د. خميس بن عبيد العجمي

رئيس الاتحاد العربي للمدارس الخاصة

رئيس مجلس أمناء مدارس كينو الخاصة بسلطنة عمان

كم تمرّ بنا من مشاهد عفويّة نحسبها تمرّ عفو الخاطر، ولا نقف عندها وقفة تأمّل وتمعّن، ولكنّها في عمقها تكشف عن أطياف مخيفة تحدّق بمجتمعاتنا دون أنْ نلتفت إلى أثرها في أفراد المجتمعات قاطبة على اختلاف مستوياتهم...

فقد نرى مشهداً لرجل تقدّم به العمر ولا يملك حيلة أمام الأجهزة الرقميّة في عالم الطفرات الرقميّة ...

وقد نصادف شاباً يحمل شهادة جامعيّة في الهندسة، ولكنّه يعجز عن كتابة سيرة ذاتية تعبّر عن شخصيته، وشاباً أو فتاة في عمل ما يشعرون بضياع وارتباك أمام أبسط مهام العمل الجماعيّ...

وقد نجتمع بامرأة متعلّمة تتقن خمس لغات وتحمل دكتوراه في الطبّ، لكنها لا تستطيع تسمية سورة من سور القرآن...

أو نسمع عن مبرمج شاب انهمك في تطوير تطبيق يهدف إلى استغلال بيانات الأطفال الشخصيّة، غير مبالٍ بالضرر الذي قد يلحق بهم...

كلّ ما سبق ليس بالمشاهد المنفصلة، إنّما هي أطياف وصور متداخلة من واقع معقّد نعيشه، واقع حوّل الأميّة التي كنّا نخالها أميّة القراءة والكتابة، إلى أفعى هيدرا بخمسة رؤوس، فهناك...

- الأميّة الأبجديّة التي لم تختفِ بعد..
- والأميّة الرقميّة التي أفرزها العصر التكنولوجيّ..
- وأميّة المهارات التي خلقتها الهوّة بين التعليم وسوق العمل...
- والأميّة الدينيّة التي أفقدتنا البوصلة الروحيّة...
- والأميّة الأخلاقيّة التي تهدّد النسيج الإنسانيّ ذاته....

ونحن إذ نقف الآن على عتبة استكشاف هذه المتاهات المعرفيّة والرؤوس السميّة، التي تحاصر الإنسان المعاصر، فإنّنا نجد أنفسنا أمام ضرورة حتميّة لسبر أغوار كلّ نوع من هذه الأنواع، كمن يفكّ خيوط نسيج معقّد ليكشف عن الألوان الخفيّة في كلّ خيط، فلكلّ نمط من أنماط الأميّة روحه الخاصّة وظلاله التي تستدعي وقفة تأمليّة عميقة لفهم جوهرها وتجلياّتها في واقعنا المعاش...

فالأمية الأبجديّة، التي لا تزال بارزة بحدّة، ولا تزال تنزف في مجتمعاتنا كالجرح القديم الذي لم يندمل، ففي الوقت الذي وصلت فيه المركبات الفضائية إلى أقاصي المجموعة الشمسيّة، لا يزال هناك ما نسبته 27% من الأميّين في وطننا العربي لا يستطيع قراءة هذه السطور، أيْ ما يعادل 100 مليون نسمة، فهؤلاء يرون في الأحرف أعداء متربّصين بهم وبعقولهم وقدرتهم على فكّ طلاسمها، فهنا مفارقة الحضارة المعاصرة إذ تتجاور أحدث الاختراعات مع أقدم أشكال الحرمان المعرفيّ، والذي قد تعود جذوره إمّا لحرمان أساسه جندريّ في تحيّز رجعيّ ضد المرأة وتعليمها، أو أساسه جغرافيّ بحيث نجد دولاً تعاني من الأميّة نتيجة لما يسودها من إحداث وانقسامات، أو أساسها الحروب والنكبات، فنجد أغلب اللاجئين والنازحين يعانون من أميّة أيجديّة نتيجة غربتهم ونزوحهم وفقدانهم لا لأوطانهم وحسب، إنّما لأحلامهم وكتبهم وحقّهم في التعليم...

وليست هذه الأميّة بالدّاء الخفيّ، إنّما هي خطر يدّق ناقوسه كلّ عام في الثامن من سبتمبر منذ عام 1966 من قبل منظمة اليونسكو، التي حاولت من خلال برامجها ومبادراتها أنْ ترأب الصدع المعرفيّ لدى البشريّة، فسعت لمدّ جسور التعليم، ورصدت التقّدمات، ونظّمت المؤتمرات وعقدت الندوات في سباق محموم مع الزمن لعلّها تنقذ البشريّة من ظلام الجهل...

وهناك الأميّة الرقميّة، التي فرضت علينا الاغتراب ونحن لا نزال في أوطاننا، فقد أحالتنا إلى أوطان لم تعهدها أزمنتنا، فأصبحت الأوطان شاشات وهواتف وعوالم افتراضيّة، وحلّت لعنات التكنولوجيا أكثر ممّا حلّت منافعها، ففي عالم الخوارزميّات، وقف جمع من الأفراد عاجزين أمام الشاشات اللامعة، غرباء في وطن رقميّ لا يفهمون لغته، فمنهم كبار السنّ الذين قضوا عقوداً يتعاملون مع أزرار حقيقيّة وصفحات ورقيّة، فإذا بهم يواجهون شاشات لمسية وقوائم منسدلة وأيقونات غامضة تتطلّب مهارات لم تُدرّس في جامعة الحياة، ومنهم الفقراء الذين ينظرون إلى الهواتف الذكيّة كما لو كانت أمراً عجيباً فاخراً، ويرونها أمنية قريبة من العين، بعيدة عن الجيب، مستحيلة المنال، ومنهم من نفتهم طبيعة بيئاتهم الصحراويّة وعزلتهم عن هذه الأمواج الرقميّة، فلم تصلهم شبكات إنترنت ولا منصات رقميّة، ولا معدّات تكنولوجيّة، فعاشوا في عزلة عن هذه التيارات الهائجة من الطفرات الرقمية، وها هي الأرقام والإحصاءات تصرخ بأنّ 50% من العرب لا يمتلكون مهارات أساسيّة في استخدام الحاسوب، كأنّهم يعيشون في كوكب آخر، في وقت بات فيه العالم يتحدّث لغة الأكواد والبرمجيّات.

ومن ثمّ هنالك أميّة المهارات، داء العجز عن ترجمة المعرفة، وتحويل الشهادات لورق هامد لا حياة فيه، ففي أروقة الجامعات، يتخرّج آلاف الطلبة حاملين شهادات تؤكّد إتقانهم النظريّ، لكنّهم يقفون عاجزين أمام أبسط متطلّبات العمل الحقيقيّ، وهنا مأساة التعليم المنفصل عن الواقع، تعليم الأكاديميّات دون تطبيق، والمعارف دون مهارات... فنجد خرّيجين يحملون الشهادات كأوسمة شرف، لكنهم لا يستطيعون كتابة إيميل مهنيّ، أو العمل الجماعيّ بروح الفريق، أو حلّ مشكلة بسيطة خارج إطار الكتاب المدرسيّ، وتجد موظّفين اعتادوا الأساليب التقليديّة الثابتة، يقفون أمام تحدٍّ صعب مع آلات ذكيّة وتقنيّات متجدّدة تتطلّب مرونة عقليّة لم يعتادوا عليها، وهناك الباحثون عن عمل الذين يقعون في متاهات لا نهاية لها، فهم بين معارف نظريّة قد تكون بالية أمام سوق عمل يتطلّب مهارات عمليّة احترافيّة ومحدّدة...

أمّا الأميّة الدينيّة، فهي الضياع الكليّ الذي يحياه الإنسان عندما يفقد بوصلته الروحيّة، فتراه غارقاً في طقوس دينيّة بلا روح، وعادات لا عبادات، فهو في أزمة صامتة، تنخر جسد الأمة دون وعي، فترى منهم من لا يستطيع تذكر اسم الرسول ﷺ، وهناك من لا يستطيع تسمية سورة من سور القرآن، وآخرون يخلطون بين أركان الإيمان وأركان الإسلام، ويْ كأن الأساسيات الدينية أصبحت ألغازاً محيرة، ومنهم من تحوّلت عباداته لشعائر تعبدية محضة، مع تجاهل الجانب الاجتماعي العبادي الذي يُترجم القيم الإنسانية والأخلاقية إلى واقع ملموس، وآخرون يعانون من فجوة عميقة بين ما يؤمن به الإنسان وما يمارسه، وبين ما يتلوه من آيات وما يطبّقه من سلوكيّات، كأنّ الدين أصبح عبادة بلا أخلاق، وشعائر بلا قيم....

وتأتي أخطر هذه الأوبئة، الأميّة الأخلاقيّة، فنحن أمام وباء صامت يفتك بالنسيج الإنسانّي، فأميّة الضمير تعكس عمى البصيرة الأخلاقيّة وفقداناً للبوصلة القيميّة في زمن تدفّق المعلومات، فتجد متعلّمين يحملون أعلى الشهادات، ويتقنون أحدث التقنيات، لكنهم يستخدمون معرفتهم وقدراتهم لأغراض

تدميرية، وكأنّ العلم في أيديهم سلاح بلا رقيب أو ضمير، وهناك من يعيشون في فقاعات رقميّة، ويكونون منفصلين عن القيم الإنسانيّة الأساسيّة، فيتواصلون عبر الرّموز، مع فقدانهم لغة التّعاطف والتّفاهم الإنسانيّ الحقيقيّ، ناهيك عن سيادة مجتمع النسبيّة المطلقة، إذ يصبح كلّ شيء نسبياً، دون وجود ثوابت أخلاقيّة، فالكذب يصبح "دبلوماسيّة"، والخداع "ذكاء"، والظلم يُبّرر بـ"المصلحة العامة"، فتجد المجتمعات غارقة في ممارسات مشوّهة كاستسهال للفساد وتبريره كأنّه جزء من طبيعة الحياة، وانحدار للخطاب العام وانتشار اللغة العدوانيّة، وطغيان الأنانيّة وتراجع قيم التضامن الاجتماعيّ، والانفصام بين القول والفعل في الحياة العامّة والخاصّة، وانتهاك حقوق الآخرين تحت مبرّرات واهية...

وحتّى تتعمّق المأساة التي تعيشها المجتمعات، فمن المؤسف القول بأنّ هذه المآسي الخمس بينها نقاط التقاء وتشابك، فهي ليست في عوالم منفصلة عن بعضها، بل تتداخل وتتفاعل كأنهار تصبّ في بحر واحد من التخلّف الحضاري، فالأميّ أبجدياً يجد مضاعفات في تعلّم التكنولوجيا، والأميّ رقمياً يفقد فرصاً مهنيّة لا تُعوّض، والأميّ مهارياً يساهم دون وعي في انتشار الأميّة الأخلاقيّة، والأميّ دينياً يفقد البوصلة القيميّة التي توجّه سلوكه، والأميّ أخلاقياً يقوّض جهود محو كلّ الأنواع الأخرى من الأميّة...

من هنا فنحن بحاجة لخوض رحلة خلاص من هذه الخماسيّة القاتلة، ولا خلاص لنا إلاّ بانتهاج منظومة تعليميّة متكاملة، بدايتها رؤية جديدة أساسها القرآن الكريم كمحور لهذه النهضة، ففيه ركائز الثورة التربويّة المنشودة، فإنْ كان القرآن الكريم في قلب العمليّة التعليميّة، رسم منهجاً حياة شاملة لكلّ جوانب التعلّم والتّعليم، لذلك فإنّه يستوجب ربط الآيات القرآنيّة بالموادّ العلميّة والتطبيقيّة، والاستفادة من الأحكام القرآنيّة في تعليم القانون والأخلاق، وتطوير برامج حفظ وتدبر تتكامل مع المواد الأكاديمية...

ومن ثمّ هناك خطوة التوجّه نحو تنفيذ برامج تجمع بين أنواع الأميّة المختلفة، كبرامج لمحو الأميّة الأبجديّة والرقمية معاً، وتنفيذ دورات تدريبيّة تربط بين المهارات التقنيّة والقيم الأخلاقيّة، وتطبيق ورش عمليّة تطبّق المبادئ الدينيّة في حلّ المشكلات المعاصرة...

ومن ثمّ العمل على ربط التعاليم الإسلاميّة وجوانبها ببرامج محو الأميّة من خلال تعليم القراءة والكتابة من خلال النصوص القرآنيّة، واستخدام التطبيقات الإسلاميّة لتعليم التكنولوجيا، والقيام بربط المهارات المهنيّة بالأخلاق الإسلاميّة، والتأكيد على ضرورة تطبيق القيم القرآنيّة في المواقف الحياتيّة...

فضلاً عن ضرورة تفعيل الشراكات المجتمعيّة، من خلال تحويل المساجد إلى مراكز شاملة لمحو الأميّة بكلّ أنواعها، وعقد شراكات مع القطاع الخاص لتطوير برامج تدريبيّة قائمة على القيم، والتّعاون مع منظّمات دوليّة كاليونسكو لتطوير نماذج تربوية إسلامية معاصرة لمحو الأميّة...

ناهيك عن ضرورة تنظيم الدول لسياساتها العامّة، فيكون هنالك نوع من التكامل المؤسسيّ، من خلال التنسيق بين وزارات التعليم والأوقاف والتكنولوجيا، وسنّ سياسات وتشريعات تدعم دور الأسرة في التربية القرآنية، وفرض قوانين تحمي القيم الأخلاقيّة في الفضاء الرقميّ...

وأهمّ هذه الخطوات لربّما ستكون ضرورة العمل على الاستثمار في الإنسان، من خلال عقد برامج طويلة المدى لإعداد معلمين متخصّصين في التربية القرآنيّة المتكاملة، وتوفير مراكز بحثيّة لتطوير أساليب حديثة في التعليم الدينيّ...

وبعد،

فإنّ مواجهة خماسية التحدّيات المعاصرة (الأميّة الأبجديّة، والرقميّة، والمهاراتيّة، والدينيّة، والأخلاقيّة) لا تعدّ معركة تعليميّة، إنّما هي جهاد حضاريّ شامل لبناء الإنسان المتكامل، الإنسان الذي يقرأ ويكتب بإتقان (محو الأميّة الأبجديّة)، ويتقن التكنولوجيا بمسؤوليّة (محو الأميّة الرقميّة)، ويمتلك المهارات العمليّة اللازمة للحياة والعمل (محو أميّة المهارات)، ويعرف دينه معرفة صحيحة عميقة (محو الأميّة الدينيّة)، ويتحلّى بالأخلاق الحميدة في كلّ تصرفاته (محو الأميّة الأخلاقيّة)...

فهي نهضة تربويّة طويلة بعض الشيء، وتحتاج إلى الصبر الجميل فالعقبة كؤود، والعمل المخلص فالحمل ثقيل، والإرادة القويّة بالحجج المفحمة، والثقة باللّٰه لصنع هذا المشروع الحضاري العظيم، فقد أنزل اللّٰه تعالى أولى كلمات القرآن لتكون "اقرأ"، ولم تكن هذه الكلمة مجرّد دعوة للقراءة، بل كانت وما زالت رمزاً لصنع منهج شامل لبناء الحضارة الإنسانيّة، ومحوراً للمنظومات التعليميّة...

فنحن لا نعالج الأميّة فحسب، بل نبني نهضة حضاريّة تجمع بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، حضارة قادرة على مواجهة عالم الحروف المنسيّة، وفضاء التقنية المُحيّر، ومتاهة المهارات المفقودة، وصحراء القيم المقفرة، وغياهب التديّن المشوّه...

فمن هنا،

وبمناسبة اليوم العالميّ لمحو الأميّة، فإنّنا نطلقها دعوة للتحرّك العاجل والجادّ لمواجهة تحدّي الأميّة بمفهومه الواسع الذي يشمل تلك الخماسيّة الخطيرة، لكون هذه الأميّة بأنواعها كافّة، تحتاج إرادة سياسيّة واستثماراً مستداماً وجهوداً مجتمعيّة متكاملة واستلهاماً لتوجيهات القرآن الكريم الذي يحثّ على العلم والمعرفة، كما يجب التّوجّه نحو تبنّي نهج تربويّ تعليميّ يجعل الطالب محوراً أساسيّاً للعمليّة التعليميّة، إلى جانب التركيز على التّعلّم التطبيقيّ والمرونة في تطبيق إستراتيجيّات التّعليم الحديثة، لتحويل التعليم إلى قوّة دافعة للتنمية الفرديّة والمجتمعيّة، وبناء مجتمع أكثر عدلاً واستدامة....

فهي مناشدة للحكومات والمؤسّسات التعليميّة والمجتمع المدنيّ والأسر للتعاون في تنفيذ برامج مستدامة تستند إلى المرجعيّة الإسلاميّة، للمساهمة في القضاء على أشكال الأمية على اختلافها، تماشياً مع توجيهات القرآن الكريم الذي يجعل العلم سبيلاً للارتقاء بالإنسان والمجتمع....